والمخاطب بضمائر جماعة المخاطبين : المؤمنون الذين قصروا في بعض الواجب أو المتوقع منهم ذلك كما يشعر به اقتران الشرط بحرف الشك وهو (إن) ويفهم منه أن المسترسلين في ذلك الملابسين له هم أهل النفاق فهم المعرض لهم بالتهديد في قوله (فتربصوا حتى يأتي ا بأمره وا لا يهدي القوم الفاسقين) .

وقد جمعت هذه الآية أصنافا من العلاقات وذويها من شأنها أن تألفها النفوس وترغب في القرب منها وعدم مفارقتها فإذا كان الثبات على الإيمان يجر إلى هجران بعضها كالآباء والإخوان الكافرين الذين يهجر بعضهم بعضا إذا اختلفوا في الدين وكالأبناء والأزواج والعشيرة الذين يألف المرء البقاء بينهم فلعل ذلك يقعده عن الغزو وكالأموال والتجارة التي تصد عن الغزو وعن الإنفاق في سبيل ا . وكذلك المساكن التي يألف المرء الإقامة فيها فيصده إلفها عن الغزو . فإذا حصل التعارض والتدافع بين ما أراده ا من المؤمنين وبين ما تجر إليه تلك العلائق وجب على المؤمن دحضها وإرضاء ربه .

وقد أفاد هذا المعنى التعبير ب (أحب) لأن التفضيل في المحبة يقتضي إرضاء الأقوى من المحبوبين ففي هذا التعبير تحذير من التهاون بواجبات الدين مع الكناية عن جعل ذلك التهاون مسببا على تقديم محبة تلك العلائق على محبة ا ففيه إيقاظ إلى ما يؤول إليه ذلك من مهواة في الدين وهذا من أبلغ التعبير .

وخص الجهاد بالذكر من عموم ما يحبه ا منهم : تنويها بشأنه ولأن ما فيه من الخطر على النفوس ومن إنفاق الأموال ومفارقة الإلف جعله أقوى مظنة للتقاعس عنه لا سيما والسورة نزلت عقب غزوة تبوك التي تخلف عنها كثير من المنافقين وبعض المسلمين .

و (العشيرة) الأقارب الأدنون وكأنه مشتق من العشرة وهي الخلطة والصحبة .

جمع " وعشيراتكم " عاصم عن بكر أبو وقرأه المفرد بصيغة (وعشيرتكم) الجمهور وقرأ A E عشيرة ووجهه : أن لكل واحد من المخاطبين عشيرة وعن أبي الحسن الأخفش : " إنما تجمع العرب عشيرة على عشائر ولا تكاد تقول عشيرات " وهذه دعوى منه والقراءة رواية فهي تدفع دعواه .

والاقتراف : الاكتساب وهو مشتق من قارف إذا قارب الشيء .

والكساد قلة التبايع وهو ضد الرواج والنفاق وذلك بمقاطعة طوائف من المشركين الذين كانوا يتبايعون معهم وبالانقطاع عن الاتجار أيام الجهاد .

وجعل التفضيل في المحبة بين هذه الأصناف وبين محبة ا ورسوله والجهاد : لأن تفضيل محبة

الله ورسوله والجهاد يوجب الانقطاع عن هذه الأصناف فإيثار هذه الأشياء على محبة الله يفضي موالاة إلى الذين يستحبون الكفر وإلى القعود عن الجهاد .

والتربص : الانتظار وهذا أمر تهديد لأن المراد انتظار الشر . وهو المراد بقوله (حتى يأتي الله بأمره) أي الأمر الذي يظهر به سوء عاقبة إيثاركم محبة الأقارب والأموال والمساكن على محبة الله ورسوله والجهاد .

والأمر : اسم مبهم بمعنى الشيء والشأن والمقصود من هذا الإبهام التهويل لتذهب نفوس المهددين كل مذهب محتمل فأمر الله : يحتمل أن يكون العذاب أو القتل أو نحوهما ومن فسر أمر الله بفتح مكة فقد ذهل لأن هذه السورة نزلت بعد الفتح .

وجملة (والله لا يهدي القوم الفاسقين) تذييل والواو اعتراضية وهذا تهديد بأنهم فضلوا قرابتهم وأموالهم على محبة الله ورسوله وعلى الجهاد فقد تحقق أنهم فاسقون والله لا يهدي القوم الفاسقين فحصل بموقع التذييل تعريض بهم بأنهم من الفاسقين .

(لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين)